

الثورة

الثورة لفظة مخيفة تلقى الرعب في قلب من يسمعها ، ويحسب الراغب في نطقها حساباً كبيراً قبل ان تلفظها شفتاه . يقولون ان الثورة هي الخراب ، هي الهدم ، هي الفوضى ، وهذا مالا يمكن نكرانه . ولكن يجب ان نعلم بانها لا تهدم ولا تخرب الاكل بالعتيق مضر من النظريات التي ثبت عدم صلاحيتها للبقاء . واما الفوضى فوقتية . وليست أكثر من رد فعل عنيف ومظاهر للانتقال من حال سيئة الى حال أحسن أو أقل سوءا .

وانك اذا شاهدت قصة تمثل على اللوحة البيضاء تجد الحوادث تمر أمامك متتابعة ، فيها الطيب والردى والخير والشر والجمال والبشاعة . أمور تحتاج الى عدة سنين أو أجيال لتمثل فيها بهودة على مسرح الحياة . فهذه المناظر لا تمر أمام عينيك متكئة متباطئة حتى ترى الجريمة الواحدة ترتكب فتأنف منها . ثم ترى الثواب المفرد فتسرله ، بل تجد حوادث الجيل تمر سراعاً بما فيها من جرائم ، فيجتذب نظرك ، لسوء الحظ ، ما يتف شعر رأسك لدى رؤيته هولاً ، فتختفى من صفحة مخيلتك مظاهر الانسانية كنتيجة لتلك الرهبة لقلبك وهكذا تتناسى الحسنات تماماً فالثورة لا تخرج عن كونها منظرًا سينميا يعكسه المخرج أمامك على الستار الفضي بسرعة متناهية للغاية . فتتمر حوادثها على صفحات التاريخ . ولسوء الحظ لا يستلفت نظرك وانت تقرأها الا ماسطر فيها بالمداد الاحمر ، فترهب . حوادثها جملة وتجزع . وهل يوجد ما يستلفت النظر أكثر مما يستدعى الخوف ؟

لم نستنكر مثلاً حدوث مذبحه ضحى فيها عشرة آلاف شخص إبان ثورة هي في ذاتها تكديس لحوادث جيل أو أكثر في مدة قصيرة ، مع اننا لوراقبنا الحياة العادية نجد ان الجرائم التي ترتكب خلال الجيل الواحد تزيد كثيراً عما اقترف إبان تلك المجزرة التي تتخطى فترتها ابناء ذلك الجيل ؟ اليس الثورة وثبة من قرن الى قرن ؟ اليس هي خطوة تمر بها الامة على عشرات من السنين تغفلها تماماً فتمحوها من صفحات التاريخ ؟

الثورة هدم — هكذا يقولون — والهدم عدو التفكير ووليد الجنون .

كلا . فالهدم ابن العزيمة . ونتيجة التفكير الطويل . وإعمال الفكرة . فلا شك أن الثورة لا تهب إلا لأصلاح الخطأ ودرأ الخطر . فالثورة بنت الاقناع اللاشعورى الذى يحتاج الى وقت والى براهين حسية ملموسة . وكل شخص لا يقدر على الثورة بل وكل أمة لا تتحرك لها إلا بعد أن تختمر مبادئها تماماً فى عقول أفرادها . أن الثورة لا تقوم عفواً وبلا تفكير ، ولكنه البناء هو الذى يتم بهذه الطريقة لانه من اختصاص الطبيعة البشرية التى تعمل بانانية لتنفيذ ما تراه صالحاً ومفيداً لها شخصياً ، متغاضية تماماً عن الصالح العام . فهى بعكس الثورة التى يناضل فيها الكل عن حقه الملهضوم . وينتج عن ذلك مع الأسف العمل للتغلب بالقوة على كل محاولة يحاول بها الانانيون الاحتفاظ بما استباحوه لانفسهم . وبالطبع ينتج عن هذا الصدام وقوع مجازر تعمل فى أعناق المتفرجين والكسالى المستبدين . وفى الثورة يغلب الحماس فى صدور الفئة الغالبة الذين كانوا من المستضعفين فيظهر الرجل العادى بالمظهر الخلق به كأنسان مفكر له عزة نفس . وله حق فى نعيم الحياة يطالب به . وهكذا يتيسر للمجموع القضاء على النظام المضر . فيتنبس الصعداء بعد أن شعر بثقل الاستعباد . وقد أزيل عن كاهلهم فيرجع الى مرضه متتبعاً لحوادث وتأخذ الطبيعة البشرية الاثيمة تعمل (غير منظمة) فى الاشارة على نظريات جديدة أولاً بتعقل و باحتراس . ثم لا تلبث حتى تتغلب عليها المطامع وقصر النظر فينفض الليث عن ذاته سلطان النوم ثانية . ويضرب معالم الشر بكفه ضربة قاضية يرجع بعدها الى الاستكانة .

وتعود الطبيعة البشرية الى الاشارة مرة أخرى مندفعة بغيريتها العمياء مسترشدة بأراء جديدة وهكذا كلما ثبت فساد النظام قضى الجمع على النظام بأكمله وتتبع ذلك الاشارة من جديد على أسس أرقى وتعاليم اسعى هكذا كان الحال فى جميع الثورات التى انتابت العالم . فاقراً سطورها كلها

ولا تقتصر على سطورها الحمراء

تطراً على الامم فترات تستسلم فيها الى نعاس عميق لا ينبهها منه الا رجة

عنيفة يسمونها الثورة. فاذا لم تجتجح حياة الامة عدة ثورات هالكت ، وذهبت مع
الامم الغابرة في عالم النسيان

الثورة عملية جراحية يستأصل بها العضو غير المفيد من الامة، فتعود للجسد
بعد ذلك نضارته

وايست الثورة هي المسلحة دائماً بل هناك ثورات فكرية سلمية تحتاج الافكار
القديمة فتتقضى عليها

ومن مظاهر الثورة التوضيحية (حتى الثورات السلمية) وأكبر عامل على ذلك
هو تلبية الدهماء لندائها قبل غيرهم فان الذي لا يملك ما يرغب المحافظة عليه يسرع
الى العمل بأمل نوال شيء من المساواة على الاقل

لنحاول تطبيق ما سبق ذكره على ثورة تحرير المرأة في العالم الاسلامي بنوع
خاص . وفي العالم العربي بوجه عام، فنقول ان الحجاب أصبح غير صالح للعصر الحالى
وقد شعر الكل بذلك. فالشاب أصبح لا يجد له شريكة موافقة لحياته . والاب
أصبح بعد الابنة عالة عليه طول حياته ، والزوج يخاف عاقبة امرأته اذا توفي
دون ان يترك مالا يسد حاجاتها حتى الضرورية، والاخ يحمل هم مستقبل اخوانه .
فالمرأة بفضل النظام القديم أصبحت عالة على الرجل لا يعرف كيف يقوم باودها
وهو عاجز عن ملافاة ما يحتاج اليه هو وعائلته الخاصة المسئول عقلا وعرفا عنها

ففكر قاسم أمين وفكر غيره - أجل . فكريا في دفع الضرر الاقتصادي
الذى سوف ينتج عن وجود نصف الامة بلا عمل يعولهم نصف الامة الاخر ،
وفي دفع الضرر الوطنى الذى سوف ينتج بتخلى الناس عن نساء الوطن الى غيرهن
من اللاتى هن أكثر ثقافة وأصلح من المصريات للقيام بإدارة شئون المنزل وتربية
الاطفال ، وفي دفع الضرر الاخلاقى الذى كان منتظرا حدوثه اذا اضطر ذوو النساء
العاجزات عن العمل على التخلّى عنهن، فلا يجدن سبيلا أمامهن للعيش الا ببيع
العرض . ومن ينكر ان النظام القديم لم يكن يؤهل المرأة الا لتكون للرجل اداة
للذة لا أكثر؟ فالمرأة حسب النظام القديم، لم تكن الا وعاء يملكه الرجل لقضاء
ضرورة . وكانت المرأة معتمدة تمام الاعتماد على الرجل ليطعمها ثمنا لما تسببه له

من اللذة . ليست المرأة التي ليس لها عمل خير الاجتهاد في التزين والتجميل لتنال حظوة لدى الرجل كي تنعم في ظلالها بما هو حق لها بالاقبل كحيوان يحتاج الى الطعام والى الكساء والى المأوى لكي يحافظ على حياته . تماثل تلك التي تبيع ذاتها لكل طالب ؟

وشعرت النساء بأنهن بتن مهددات بالاجنبيات ولم يجدن لهن أملا في حياة هنية ، فأظهرن التمرد وجاهرن بعدم الموافقة على مجريات الحال . ولما كان صوتهن خافتا لا يصل الى أذن كل انسان عاونهن البعيد والنظر من الرجال على تحرير ذاتهن رغبة في ملافة الكارثة المنتظرة

وحدث ان ضاق صدر بعض النساء للضغط الذي أحاط بهن فهزأن من فكرة التفريق بين ان يكن ملكا للرجل وفقا لاصول مرعية ، وبين ان يكن له أيا كان مادمن يبذلن أنفسهن من أجل العيش ، فلم يهتمن بحكم الوسط الناس

وكان أول من لبى الدعوة للثورة ضد القديم . هؤلاء التعيسات ، فتسبب عن ذلك تقهقر الحافظات وحبهن . ولكن هو الضغط الذي يدفع الشخص الى ارتكاب الصعب دون ان يهتم ، فاقد من بعد تردد طويل . والآن ابحتوا حال هؤلاء المتبرجات تجدوهن لا يعرفن لهن صناعة يأكلن منها الا ان يكن اداة للذة . فلم يسمعن جبهدهن لاقتناص سبيد يطعمهن من فضالاته ؟ واما الرجل فلا أمل في صيده الا بحبائل تجذبه وتقيده وهل هذه الحبائل شيء الا التجميل . وفي اعتقادي ان السبب الاول فيما نسميه انحطاط المرأة . وسفالة الاخلاق هو النظام العتيق الذي اتبعناه أجيالا طويلة . ولم نحاول تطبيقه على سنن التطور . فلو كانت المرأة تعرف ذاتها غير الترغيب في ذاتها لما انحطت الى الدرك الذي نراها فيه اليوم .

فعند ما تستقر الاحوال ويصبح للمرأة عمل غير ذلك العمل المنحط ، تجدها مهتمة أغلب أوقاتها بعملها الذي تعيش منه في الوقت الحاضر .

قد يقول شخص ان نزول المرأة . الى ميدان العمل يدعو الى حظ الرجال وأنا بدوري أسأل ما الفرق بين ان يأخذ الرجل مبلغا يقتصمه مع آخر ، وبين ان يأخذ قدرا ينفقه على نفسه فقط

وقد يقول قائل ولكن في استقلال المرأة هدم لنظام العائلة كما تفهمه الآن .
وليس لي على ذلك جواب الا القول بان التطور مؤثر في جميع أوجه الاجتماع . وليس
في وجه واحد . فنظام العائلة لاشك سيتغير ويتشكل ولكن كيف ؟ لا أحديدرى .
فهو نظام وضعي . ويجب ملاحظة ان النظام الطبيعي الوحيد سيبقى خالدا مدى
الدهر . وهذا هو نظام صلة المرأة بالرجل . كوسيلة للناسل وابقاء النوع فهذا وحده
الذي سيبقى أبد الدهر ولكن بأي الانظمة ؟
ع . ع .

لوحية الطفرائي

صفحة من الشعر العلمي الحديث

وصلتنا قصيدة عصماء نكتفي بنشر مستهاها
لفريق المقام أملا في أن ينحو علماءنا
المتأدبون على نحوها وينسجوا على منوالها .

قضيت في الكولوج (١)	من مهند الكبيح (٢)
أعوام (اقرأ) في	برنامج الأولوجي (٣)
إن شئت فسالني	أنبيك عن تولوجي (٤)
لكن سأشترط	أن تدفع الداميج (٥)
لو كنت تغضبنى	أو تفقد الكوارج (٦)

.....

كانت	أساتذنا	رهطا من السافيج (٧)
فانلط	« رقعته »	أسموها نفسولوجي (٨)
و « النسخ »	نباتوني (٩)	« والرسم » تظمولوجي (١٠)
والجمع	والطرح	والتضريب أجتولوجي (١١)

فيلسوف عالم وأديب مبتكر

(أولا) كسرت كلمتي ٤ و ٥ لوزن الشعر (نانبا) آخر حروف القصيدة كلها مكسورة
(١) كلية (٢) الكرب (٣) العلم (٤) معرفتي (٥) الاضرار (٦) الشجاعة
٧ المتوخش ٨ علم النفس ٩ علم النبات ١٠ علم العظام ١١ علم تكوين الاجنة والله أعلم .